د - على محمود طه

أعماله :

الملاح التائه

ليالى الملاح التائه

أرواح شاردة

أرواح وأشباح ط ٣ ١٩٤٥

زهروخمر

أغنية الرياح الأربع ١٩٤٣

الشوق العائد

كأس الخيام

رباعيات الخيام آية من مثاليات الشعر الخالد المتسم بالرقة والعظمة ؛ والخيام من أولئك الشعراء الذى حاولوا استكناه أسرار الكون ، واستشراف المجهول بالقلب المشبوب ، والحس المرهف ، والروح الطامح المتوثب ، والخيال المرح المتفلسف، والعقل الذكى المتأمل ، ولكن القصور الانسانى رده عن بلوغ متمناه ، فأشعره بالألم ، وأورثه الحسرة ، فاندفع إلى نشدان المتعة في الخمر والمرأة ، ليتسلى بهما عن عجزه ويأسه ، وقد صدحت هذه الرباعيات في نفس الشاعر ، فكتب قصيدة في الكأس ، استهلها بوصف الشرق الجميل المستيقظ على صياح الديكة ، وتغريد الطيور ، متأثراً بالمعنى الأول من قصيدة الخيام . مناقشاً في بعض ماعرض له من آرائه .

هاتف الفجر الذى راع النجوم
وأطار الليل عن آفاقها
لم يزل يغرى بنا بنت الكروم
ويثير الوجد في عشاقها

صيدح جن غراما بالسحر
أنطقته لهفة الروح المشوق
موثق القلب ، وميعاد النظر
مهرجان النور في عرس الشروق

فرح الجنة في ألحانه
وصداه في السحاب العابر
أرسل السحر على ألوانه
من فم شاد وقلب شاعر

يالـه صوتاً من الماضى البعيد
رائع الإيقاع فتان النغم
جدد الأشواق باللحن الجديد
وهو كالدنيا عريق في القدم

كم عيون نفضت أحلامها
حين نادى ، غير حلم واحد
سلسلت فيه المنى أنغامها
وهى تشدو بالرحيق الخالد

كلمـــا لألأ فـي الشـــرق الســـنا
دقـــت البـــاب الأكـف الناحلـة :
أيهـــا الخمـــار ! قـم وافتح لنا
وأسقنـــا قبـــل رحيـل القافلـة

خمـــرة العشـــاق لازالـــت ولا
جـف مـن ينبوعـها نهر الحياه
نضبـت فـي قـدح العـمر الطـلا
وهى في الأرواح تستهوى الشفاه!

كـم شمـوس عـبرت هـذا الفضاء
وألـوف مـــن بـــدور ونجـــوم
والثـــرى بـــين ربيـــع وشتـــاء
ضاحـــك النـــوار وهاج الكروم

كل عنقـــود دمـــوع جمـــدت
وقلـــوب فنـــيت فيهـــا شعاعا
ما احتـــواها الفـــجر إلا انتقدت
جمـــرة تـــذكر حنينـــاً والتياعا

لـو أصـــابت ريشتيـــها وثـــبت
بجناحـــين مـــن الشـــوق القـديم
فاعـــذر الكأس إذا مـا اضطربت
حبيـــاً يخفـــق فـي كف النـــديم

أيهـا الخالد في الدنيا غراما
أيـن نيسابور ، والروض الأنيق ؟
أين معشوقك إبريقاً وجاما ؟
هل حطمت الكأس؟أم جف الرحيق؟

هذه الكرمة والوادى الظليل
مثلما كانا ، وهذا البلبل
حاضر أشبه بالماضى الجميل
لو يغنيه المغنى الأول

أليد البيضاء في كل الغصون
زهرة تندى ونور يشرق
والثرى من نفس الروح الحنون
مهجة تهفو ، وقلب يخفق

كم تشهيت الحبيب المحسنا
لو سقى مثواك بالكأس الصبيب !
وتمنيت ، وما أحلى المنى
خطوات منه ، والمثوى قريب !

أترى أعطيته سر الخلود ؟
أم حبوت الحسن سلطاناً يدوم !
عجباً ، تخطىء أسرار الوجود
أيها الحاسب أعمار النجوم !

شفـة الـكأس التى أنطقتهـا
لم تـدع للسائـل الصادى جوابا
حجـب عـن ناظـرى مزقتهـا
فـرأيت العـيش برقـاً وسرابـا

ولمسـت الخافـق الحـى المنى
طينـة تبكـى بـكف الجابـل
تشتهـى الرشفـة ممـا علنـا
وهـى مـلأى تحـت ثغر الناهـل

نسيى الأنخاب من تهوى وأمسى
مثلما أمسيت يستسقى الغمامـا
واشتكـت رقتـه في الأرض يبسا
وغـدا الإبـريق والـكأس حطاما

لا ، فمـازالا ، ولا زال الحـبيب
أيها المفعـم با لحب الوجـودا
إن مـن غـنيت بالأمـس القريب
منحتـه ربـة الشـعر الخلودا

مـر بي طيفكمـا ذات مسـاء
وأنا مابـين أحـلامـى وكأسى
استـبدت بـى أطيـاف الخفـاء
وتغريـت عـن الدنيـا بنفسى

صحت بالليل إلى أن أشفقا
فليقف نجمك .. ولينأ السبر
جدد العشاق فيك الملتقى
وحلا الهمس على ضوء القمر

فادخلا بين ضياء وغمام
حانة الأقدار والليل القديم
مجلساً يهفو به روح الغرام
كل نجم فيه ساق ونديم

وانهلا من سلسل النور المذاب
خمرة ليس لها من عاصر
قنع الصوفي منها بالحباب
وهي تنهل بكأس الشاعر

فارو ياشاعر عن إشراقها
إنما كأسك نور وصفاء
كيف طالعت على آفاقها
روعة الغيب وأسرار السماء؟

كيف أبصرت الجمال المشرقا
بصر الفانين في حب الإله
وفتحت الأبد المستغلقا
عن ضمير الكون أو سر الحياة ؟

أبـروحانيـة الشـرق العريـق
أم ببوهيمـية الفـن الطليـق
سبحت روحك في الكون السحيق
حـيث لا يسمـع طاف لغريق !

حيـث أبـصرت الذى لم تبصر
أعـين مـرت بـهـذا العـالـم
ذاك سـر الشاعـر المستهـتر
وفتـون الفيلسـوف العالـم

ذاك سـر النغـم المستـرسـل
والصفـاء السلسـل المطـرد
روح شـاد فنـيت فـي الأزل
وتحـدت شهـوة المنتـقـد

صـرخت آلامـه فـي كوبـه
فهـوى يثـأر مـن آلامـه
إنما البعـث الـذى تشدو به
يقظـة المفجـوع في أحلامه !

إنما البعـث المـرجى للـورى
غايـة الحـى التـى لا تحمـد
إنمـا تبعـث في هـذا الثرى
بعـض ما يقطف أو مايحصد

حسبها تعزيـــة أنا سنحيـــا
في غـــد ، مثـــل حيـــاة الزهـــر
وسنطـــوى الأبـــد المجهـــول طيا
جـــدد الأطيـــاف بشتى الصـــور

حسبهـــا تعزيـــة أن نحلمـــا
بأناشيـــد الصبـــاح المنتـــظر
ونشـــق الأرض عـــن وجـــه السما
حيث نور الشمس أو ضوء القمر

ربمـــا جـــدد أو هـــاج لنـــا
نـــبأ أو قصـــة مـــن حبنـــا
نـــوح ورقـــاء أرنت حـــولنا
أو شـــجى قـــبرة مـــرت بنا

أو خطـــى إلفـــين في فجر الصبا
أتـــرعا كأسيهـــما من ذوبـــه
أو صـــدى راع على تلك الربى
صـــب في النـــاى أغانى حبـــه

حلـــم مثلتـــه فـــى خـــاطـــرى
فعشقـــت الخلـــد في هـــذا الـــرواء
أنكـــروه فحكـــوا عـــن شاعـــر
جـــن بالخمـــر وأغوتـــه النســـاء

ولقـــد قالـــوا : شـــذوذ مغرب
وأباحـــيـــــة لاه لا يـــفـــيـــــق
آه لـــو يـــدرون مـــا يضـــطـــرب
بين جنبـــيك من الحزن العميـق

أولا يغـــدو الخليـــع الماجنـــا
من رأى عقبى الصباح الباسم ؟
ورأى الحـــى جمـــاداً ساكنـــاً
بعـــد ذياك الحـــراك الدائـــم ؟

أو لا يغـــرب فـــي نشـــوتـــه
شارب الغصة فى اليوم الأخير ؟
أولا يمعـــن فـــى شـــهوتـــه
مسلم الجسم إلى الدود الحقير ؟

قصـــة الزهـــد التى غنـوا لها
عللتهـــم بالســـراب الخـــادع
نشـــوة الشاعـــر ، ما أجملها !
هى مفتـــاح الخلود الضائع !!

لو أصـــابوا حكمـــة ما اتهمـوا
وبـكى لاحـــيك والمستـــهـــجن
فهـــو من دنياهـــم لو علمـــوا
عبـــث مـــر ، ولهـــو محـــزن !!

مهرجان الزفاف

ألقى الشاعر هذه القصيدة فى المهرجان الأدبى الكبير الذى أقيم بدار الأوبرا الملكية احتفالا بقران صاحب الجلالة الملك فاروق الأول وصاحبة الجلالة الملكة فريدة ، وكان من خطباء هذا الحفل الأساتذة الأجلاء : وزير المعارف ، مطران ، العقاد ، سعد اللبان ، البشرى ، الهراوى ، المازنى ، الجارم ، أحمد أمين ، وذلك فى سياق مسرحية للأستاذ توفيق الحكيم .

سحر نطقت بـه وأنت المنطـق ... ولك الـولاء ولى بعـرشك مـوثق
يا أفق إلهامـى ووحـى خواطـرى ... هـذا نشيـدى فى سمائـك يخفق
توحـى إلى الشعـر علوى السنى ... مصـرٌ ، ونـور شبابـك المتـألق
وشـوارد هـز النجـوم رويهـا ... والكـون مصـغ والشعـاع يصفق
فى ليلـة للنفـس فيهـا هـزة ... ولـكل قـلب صبـوة وتشـوق
ريا الأديـم كلجـة مسجـورة ... يـسرى عليهـا للمـلائك زورق
غنى بهـا الشـعر الطـروب وأقبلت ... بالزهـر حـورياتـه تتمنـطق
وشـدا الرعـاة الملهمـون كأنما ... سينـاء مـن قبس النبوة تشرق
هى من طوالعـك الحسـان ، وإنه ... أمـل لمصـر علـى يـديك يحقق
مصـر إذا سئلـت فأنـت لسانها ... وجنانهـا ، وشعورهـا المتدفـق
فتلـق فـرحتها بعيـدك إنـه ... عيـدا يهنـىء مصـر فيـه المشـرق

مـولاى هـل لى أن أقبـل راحـة ... بيضـاء تحيى المأثـرات وتخلـق
مـرت علـى الـوادى ، فكل شعابه ... عـين مفجـرة ، وغصـن مـورق
وجلـوتهـا للناظريـن فأبصـروا ... بزهـان ربـك ساطعـاً يتألـق
لو رد فرعـون وسحـر دعاتـه ... وتساطـوا بك مجمعـين وأحدقـوا
لقفـت عصـاك عصيهم فتصايحوا ... لا سحر بعد اليـوم ، أنت مصـدق
يا باعـث الـروح الفتـى بأمـة ... تسمـو بهـا آمالهـا وتحلـق

أغلى الذخائر فى كنوز فخارها ... تاج يجمله بنور مفرق
صاغته من آمالها ودمائها ... وأجلهن دم الشباب المهرق
إن أنس ، لا ينس اليمين ويومه ... قلبى الطروب وجفنى المغرورق
وهتاف روحي في خضم صاخب ... خلت الفضاء الرحب فيه يفرق
القائد الأعلى ، وتحت لوائه ... حراس مصر الباسلون السبق
طافوا بساحتك الكريمة فيلقاً ... يحدوه من آمال مصر فيلق
وأنلتهم شرف المثول فقربوا ... مهجاً يحوطك حبها ويطوق
وضعوا الأكف على الكتاب وأقسموا ... وسيوفهم من لوعة تتحرق
أوما لها الماضى ، فجن حديدها ... حتى تكاد بغير كف تمشق
ذكرت بك النصر المبين وفاتحاً ... يطأ الجبال الشامخات ويصعق
ياصنو إبراهيم ، لو ناديته ... بك لاستجاب وجاء باسمك ينطق
لك مصر ، والسودان ، والنهر الذى ... يحيا الموات به ، ويغنى الملق
عرش قوائمه التقى ، وظلاله ... عدل ، وروحانية ، وترفق
المسجد الأقصى يود لو أنه ... أسرى إليه بك الخيال الشيق
كم وقفة لك فى الصلاة كأنما ... عمر تحف به القلوب وتخفق
لما وقفت تلفت المحراب من ... فرح ، وأنت لديه حان مطرق
ويكاد من بهج يضىء سراجه ... وجه عليه من الطهارة رونق
أحييت سنة مالكين سما بهم ... فى الشرق أوج حضارة لا يلحق
فابنين فى حب الإله ، وإن ترى ... بعد الألوهة مايحب ويعشق
طهر عصمت به الشباب وإنما ... شيم الملوك به أحق وأخلق
تغضى لرقتك النفوس مهابة ... وتهم بالنظر العيون فتشفق
إن السيوف تهاب وهى رقيقة ... وخلائق العظماء حين ترفق

ألقى البشير على المدائن والقرى ... نبأ كصوت الوحى ساعة يطلق
عبر الضفاف الحالمات فمسحت ... جفناً ، وهب نخيلها يتأنق
فرح تمثل مصر فهى خواطر ... صداحة ، وسرائر تترقرق
أليوم آمنت الرعية أنها ... أدنى لقلبك فى الحياة وألصق

آثرتهـا ، فحبتـك مـن إيثارهـا ... تاجـا شعائـره الولاء المطلـق
ملـكات مصـر الرائعـات ، إذا بدا ... كـف تشـير له ، وعـين ترمـق
وحـديث أرواح يضـوع عبـيره ... ومن الطهـارة مايضـوع ويعبـق
ياصاحبى مصر ، أظلكما الرضـى ... وجـرى بيمنكمـا الربيـع المونق
وفـداء عرشكمـا المؤثـل أمـة ... أمـست خناصـرها عليـه توثـق

ياشمـس يأم الحيـاة ! تكلمـى ... فلقـد يثـاب على الكـلام الصيدق
أأعـز منـا تحت ضـوئك أمـة ... هـى بالحيـاة وبالسـيادة أخلـق ؟
إنا بنـوك ، وإن سئـلت فأمنـا ... مهـد الشمـوس وعـرشهن المعرق
عـرش لفـاروق العظيـم يزينـه ... هـذا الشبـاب العبقـرى المشـرق

تجربة نقدية ٤ :

"على محمود طه" شاعر يأتى على قمة النزعة الرومانسية فى الشعر العربى الحديث . شغل النصف الأول من القرن العشرين برمته . إذ توفى سنة ١٩٤٨ . وشغل أكثر ماشغل فى دواوينه بذاته . وهنا اختيار من دواوينه الأولى بعنوان "كأس الخيام" والثانى بعنوان " مهرجان الزفاف" والإختيار كان لسببين : أولهما أن القصيدة الأولى محاولة ترجمة لرباعيات الخيام وهى محاولة لاكتشاف أوجه التأثر ببحيرة "لامارتين" على وجه الخصوص فى شعره .. والثانية محاولة لاكتشاف موقف الأدب من العصر السابق على الثورة حيث أن هناك قصائد عدة فى مديح فاروق وربما من أهمها ديوان محمود حسن اسماعيل " فاروق" وقد جعله باسم الملك .. ثم لم يعد إلى طبعه بعد الثورة أبداً .

وقد يحسن الإشارة إلى تصور خاص فيما يتعلق بالشعر .. فالحقيقة أننى لا أقبل التقسيمات المذهبية المختلفة فى الشعر .. من نحو تقسيمه إلى رومانسى وواقعى ورمزى وطبيعى وميتافيزيقى ونحوها . ذلك أننا ننسى بهذا سمته الأساسية من أنه "شعر" والمادة العربية مشتقة من "شعر.. يشعر .. فهو شاعر " ونحوها . ومن هنا فالوجدان والشعور هما الأساس ولذا فالشعر الرومانسى به نزعة نحو الواقع أو نحو الرمز أو نحو الميتافيزيقية .. ولكنه فى النهاية شعر رومانسى فى المقام الأول . ولاينطلق الشاعر إلا من هذه الدوافع الرومانسية .

ومن هذا المنطلق فنحن نسم شعر الرعيل الحديث الأول "بالتقليدية" ونوهم بهذه التسمية أنها خارج إطار المذهبية .. ولكن إذا كان الشاعر يبدو مقلداً فهو أولا زائف لأن التقليد دلالياً زيف ، وهو ثانيا خاضع لما هو موروث ومن ثم فيمكن أن يكون رومانسياً .. بدءاً من تاريخ الرومانسية العربية عند عنترة وجميل وكثير ومجنون

ليلى وذى الر مة وغيرهم من فحول الشعر الرومانسى العربى فى شعرهم ذى الجوانب الوجدانية الطاغية .

والشاعر عندما يهجو ، وعندما يمدح ، وعندما يصف الطبيعة ، وعندما يصف رحلة صيد إنما يصدر عن حس شاعر ، ووجدان حتى وإن كرر صيغاً موروثة أو كلاشيهات محفوظة . ودرجة الوجدان تتناسب تصاعداً أو هبوطاً وفقا لدرجات القرب أو البعد عن المضمون ودرجات التمكن الشعرى ومن أدواته :

وعلى هذا فإذا جاء "على محمود طه" على قمة الأداء الرومانسى الحديث فإنه يتميز بدرجة رفيعة من الأداء مضموناً وشكلاً كان وراء اختياراته : الملاح التائه – ليالى الملاح التائه – أرواح شاردة – أرواح وأشباح – زهر وخمر – أغنية الرياح الأربع – الشوق العائد . وهذا فيما يتعلق بعناوين قصائده . ثم عناوين دواوينه المأخوذة عنها .

وتجربة "كأس الخيام" تجربة طريفة إذ أنه يبدأ موهماً بأنه يترجمها ، وعندما وجد مشقة ذلك شعراً أعطى نفسه حرية التصرف لتصبح قصيدة مستوحاة من نص رباعيات الخيام . ونحن نعلم أن على محمود طه على صلة بالثقافة الشعر الفرنسى ونعلم أنه ترجم شعراً قصيدة "لامارتين" الشهيرة "البحيرة le lac" ويمكن أن نعقد دراسة مقارنة بينها وبين قصائد دواوينه لمحاولة اكتشاف أوجه التأثر فى هذا المضمار .

والقصيدة تتكون من أربعين رباعية ، تتركز فى كل واحدة فكرة .. يجمعها إطار واحد هو الاستمتاع بالطبيعة والخمر . يبدؤها مكرراً معنى الخيام فى رباعيته الأولى . لذا نجد فيها هذه المفردات :

الفجر – النجوم – الليل – الكروم – الوجد – عشاق .

ثم نعرج على رباعيات تمتلىء بمفردات الصيدح والسحر ومهرجان النور والجنة والسحاب والإيقاع والأشواق والأحلام والمنى والأنغام والسنا .. ونحوها من مفردات ضبابية غير محددة المعانى .

ولأن المعانى فى هذا النوع من الشعر غير محددة الأبعاد فنحن لانملك أن نطبق عليها مناهج الدلالات اللغوية حيث أنها بذلك تثير العديد من المعانى التى تبعد بالمتلقى عن حدود مايقصده المؤلف من وراء نصه .

فلنتوقف عند رباعية واحدة عساها تفلح فى الصمود لمنهج التحليل :

فرح الجنة فى ألحانه
وصلاه فى السحاب العابر
أرسل السحر على ألوانه
من فم شاد وقلب شاعر

فالبيت الأول يتحدث عن فرح الجنة وهي تبدو فى ألحانه .
وعندما يعطف (بحرف العطف الواو) فى البيت الثانى فالذى أفهمه أن يعطف على التركيب السابق (فرح الجنة) ولكنا تفاجأ بالضمير للتذكير لايعود على قريب . فالجنة مؤنث والألحان مؤنث والذى يعود عليه هو (الفرح) .. وبهذا لايصبح المعنى متصلاً به إذ أن هذا يعنى أن صدى فرح الجنة فى السحاب الغابر فما علاقته به ؟ وهو يقصد مانكر فى الرباعية السابقة عن (الصيدح) الذى أرسل السحر على ألوانه من فم شاد .. وقلب شاعر . ! كل هذه صفات أحدثها الطير فى الكون !! أتبدو صوراً منطقية ؟ أتبدو هناك دلالات محددة !

وعلى هذا النحو نشهد بقية المعانى فى الرباعيات المختلفة فأنت تسمع حديثاً عن صوت الصيرح وقد تحول إلى مايشبه حركة كونية مبالغ فيها جداً لدرجة تثير الكثير من الاشفاق على الشاعر الذى لايطمئن إلى فكرة منطقية لديه واحدة . حتى

إذا ما انصرف عن هذا إذا به يفاجئنا وقد هوى بنا من شاهق مع تحليقات الصيدح في الكون لنندك على أعناقنا أمام أعتاب (خمار) ، (أيها الخمار قم وافتح لنا - واسقنا قبل رحيل القافلة) . ومع ذلك فلا يصعب عليه الربط بين (الكروم) وبين (الكون) فهى بدور ونجوم ضاحك النوام .

وهناك امتزاج لدى الشاعر - كرومانسى حاد - بين عناصر الكون جميعاً - الطبيعة والنجوم والطيور . والأصوات والألوان . والكأس والساقى والشارب . تعثر على صيغ لونية جديدة هى لون النور مثلاً . ولون الجمال المشرق . كما تعثر على تراكيب إضافية . منذ العنوان "كأس الخيام" لتمر على : هاتف الفجر ، بنت الكروم . لهفة الروح . موثق القلب . ميعاد النظر . مهرجان النور . عرس الشروق . فرح الجنة . فم شاد . قلم شاعر . رائع الإيقاع . رحيل القافلة . خمرة العشاق . نهر الحياة . قدح العمر . ضاحك النوار . وهاج الكروم . كف النديم . نفس الروح . سر الخلود . أعمار النجوم . شفة الكأس . كف الجابل . ثغر الناهل . ربة الشعر . أطياف الخفاء . ضوء القمر . حانة الأقدار . روح الغرام . سلسل النور . كأس الشاعر . روعة الغيب . حب الإله . ضمير الكون . سر الحياة . روحانية الشرق . بوهيمية الفن . سر الشاعر . سر النغم : شهوة المنتقد . يقظة المفجوع . حياة الزهر أناشيد الصباح . وجه السما . نور الشمس . ضوء القمر . فجر الصبا . قصة الزهد . نشوة الشاعر . مفتاح الخلود .

وهذه الاستقراءة شبه الكاملة لصيغ الاضافة فى النص تشى بطبيعة المعانى الهلامية المسيطرة ليس فى شعر على محمود طه فقط ولكن فى شعر الرومانسية تقريباً .

ولننتقل إلى "مهرجان الزفاف" :

وأعترف بأن السبب وراء الاختيار لم يكن تفضيل النص على ماعداه لأسباب شكلية أو مضمونية . ولكن لأسباب تتعلق بالموضوع . حيث شغفنى احتمالية ألا يكون

الجيل الجديد قد شهد شيئاً من الاحتفال لملك مصر السابق الذى كانت الجماهير تتعلق به فى شبابه وترى فيه صورة لأميرها المرتقب . ولولا بعض التراكيب الخاطئة فى بطانته .. ومبالغة الإعلام فى عهد الثورة لما بدت صورته على هذا النحو المزرى . وإذا كانت قضية الأسلحة الفاسدة قد شوهت جانباً من سمعته فإن الكثير من القضايا من بعد قد شوهت سمعات كثيرة من القادة والزعماء محلياً وعالمياً .. إما بالاتهام بالاشتراك من بعيد أو حتى بالصمت .. والمسئولية عن كل الرعايا .

والذى يعرف شيئاً من التاريخ يعرف أن حدث الزفاف كان حدثاً سعدت به كثير من الأسر المصرية سعادة حقيقية وخاصة لأنه كان زفافاً مثالياً من الملكة فريدة (صافيناز ذو الفقار وقد توفيت منذ نحو عام) . وهذا احتفال بدار الأوبرا الخديوية وكان مقرها مجاوراً لميدان العتبة الحالية وميدان الأزبكية قبل أن تحترق فى نهاية عام ١٩٧٠ وهو منظر لا أنساه ولاينساه جيلى مدى الحياة . فقد كانت رمزاً لانتهاء عهد من الفن.الابداع . وقد حل محلها الآن مكان لانتظار السيارات متعدد الطوابق .

فى اثنين وخمسين بيتا يحتفى الشاعر بمهرجان الزفاف (وقد قدر لى أن أشاهد مهرجان الزفاف الثانى قرب قصر عابدين فى طفولتى .. وهذه جميعاً أحداث من مخزون الذاكرة إذ أعقبتها مباشرة أحداث حريق القاهرة فى يناير ١٩٥٢)

الانطباع الأول تأثر واضح بقصيدة شوقى (أيها النيل) فى الصيغ وبعض المتناثر من معانى والوزن . والقصيدة تتكون من أربعة مقاطع :

المقطع الأول	يتكون من أحد عشر بيتاً	١١
المقطع الثانى	يتكون من ثمانية وعشرين بيتاً	٢٨
المقطع الثالث	يتكون من تسعة أبيات	٩
المقطع الرابع	يتكون من أربعة أبيات	٤

ولكنا لانجد مبرراً للتقطيع من الناحية المضمونية على عكس مايوحى التقسيم .. فهو تقسيم متعسف لايتناسب مع تكرارية المعانى أو تتابعها دون حدود جوهرية فى المضمون .

المقطع الأول تتحدد معانيه من استخدامات الدائرة اللغوية التالية :

نطقت . منطق . ولاء . عرش . موثق . إلهامى . خواطرى . توحى . السنى . شوارد . مصغ . الشعر . تتمنطق . شدا . الملهمون .

والمديح للفاروق . ولمصره فى عهده . ولكن التأثر بقافية شوقى تبدو واضحة حتى فى استعارة بعض الأشطر . والوقوف عند هذه المقطوعة قد يوحى بأنه ينتقل إلى معانى أخرى فى المقاطع الثلاث التالية . ولكنا نجد المعنى موصولاً فى المقطع الثانى : مولاى هل لى أن أقبل راحة / بيضاء تحى المأثرات وتخلق . وهو يخلع عليه كل صفات تصلح له ولغيره ولاتختص بأحد . فهو صاحب أفضل لايحددماهى . ولكنها أفضال لاينكرها أحد . فهو باعث الروح فى الأمة . وهو يصف التاج ويوم حلف اليمين . ثم يصف قواد مصر وحراسها وهم يطوفون بساحته وهى صورة منقولة عن شوقى أيضا فى وصف عيد من أعياد مصر الفرعونية . وهو ملك لمصر والسودان والنيل . وهو رمز التقى والورع !! (كلما وقفت (للصلاة) تلفت المحراب من / فرح ، وأنت لديه حان مطرق) مبالغة .

ويستمر المقطع الذى تفوح منه رائحة قافية شوقى (أيها النيل) السابق عرضها . حتى أننا نستطيع أن نقول إنها معارضة لها دون شك .

وهو ينهى بالمقطع الثالث (٩ أبيات) والمقطع الرابع (أربعة أبيات) داعيا للملك والمليكة ومصر ويدعو لمستقبلها وجدارتها بالحياة والتقدم .

هذا نموذج شعرى لا أستسيغ تطبيق أية محاولة دلالية لغوية أسلوبية عليه .. لعدة أسباب أهمها أنه عادة نص لايصدق مع نفس قائله .. كما لايوافق الحقيقة فى الواقع . ومن هنا فإن إشاراته الدلالية لاتوصل إلى اكتشاف مضمونى له دلالة أو بعد اجتماعى أو نفسى ، وإنما هو مجموعة كلاشيهات يحفظها الشاعر ومن ثم فهى غير متواصلة مع "البيئة النفسية" للنص . أو حتى "بيئته الإجتماعية" .

وأهم مايمثله النص فى تصورى هو التدريب الذى يمكن أن يصيب توافقاً فيما يتعلق بحركة الإبداع .. ورياضة القول . وسمات النزعة الرومانسية .

* * *

فى تعليق على حركة الشعر الحديث .

تزعم الدراسة أن الشعر لابد وأن ينقسم فى عصره الحديث إلى ثلاثة أقسام تجريبية لايستقيم التجريب النقدى بدونها .

القسم الأول : ويشمل الفترة الزمنية منذ منتصف القرن التاسع عشر حتى نهايته وهى الفترة التى يصح أن تتوافق مع سابقتها من حيث كونها مرحلة احياء واعادة بعث لمنظور الشعر العربى التقليدى أو (الكلاسيكى) وهذه المرحلة تبدو مؤسسة للحركات التالية أو بمعنى آخر تبدو قاعدة لابد منها لحركة القسم الثانى والثالث . ومن أهم أعلامها الطهطاوى مثقفاً وشاعراً منذ البداية وتنتهى بالبارودى مثقفاً وشاعراً فى النهاية (توفى سنة ١٩٠٤) . على تفاوت فى البداية والنهاية .

القسم الثانى : ويشمل الفترة الزمنية منذ بداية القرن العشرين حتى منتصفه (١٩٥٢) . ويبدو على قمة هذه الفترة التى يغلب عليها النزعة نحو التجديد حتى عند علمى الكلاسيكية الكبيرين شوقى وحافظ . ثم يتبعها مدرسة الديوان (العقاد – شكرى – المازنى) ثم مدرسة أبوللو والرومانسية المصرية (أبو شادى – على محمود طه – إبراهيم ناجى وغيرهم) .. على تفاوت فى البداية والنهاية من الناحية الشكلية والمضمونية والتجريب التحديثى على المستويين . وهذا مانلحظه فى محاولات شوقى البادئه شعراً ومسرحاً ونثراً . وكذا محاولات حافظ شعراً ونثراً فى (ليالى سطيح) ، (البؤساء) ونحوها .

ومانجده بعد عند العقاد فى منظوره النقدى وعند مدلول الشعر فى مدرسة الرومانسية .

القسم الثالث : ويبدأ منذ بداية الخمسينات أى يشمل نصف القرن الأخير الذى لم ينته بعد ولكنا على مشارف نهاية فى التسعينات منه فى عقده الأخير . وقد شمل ظهور مدرسة التجديد (صلاح عبد الصبور ، أحمد حجازى .. أمل دنقل . نجيب سرور وغيرهم) ومدرسة مابعدها التى لم تنبىء بكثير مبدع بعد .. وهى حركة تتواكب مع حركة (الحداثة) العالمية على تأخرنا عنها فى المضمون والشكل على السواء . تغوص تجربة جيدة أثبتت امكانية استمرارها على تفاوت فى درجات الصدق التجريبى والصدق التعبيرى أيضاً .

* * *